

فقال: حسبي الله. وأمسكت^(١).

جرعاً سقاها الظلمُ صابه

بأبي وديعة أحمد

تئن من تلك العصابة^(٢)

عاشت معصبة الجبين

أقبلت إلى قبر أبيها رسول الله ﷺ. فأخذت قبضة من تراب قبره الشريف
وشتمتها وقالت:

أن لا يشم مدى الزمان غواليها

ماذا على من شم تربة أحمد

إن كنت تسمعُ صرختي وندائيا

قل للمغيّب تحت أطباق الثرى

صُبَّتْ على الأيام صرن لياليا

صبت علي مصائب لو أنها

لا أخشى من ضيم وكان حمى ليا

قد كنت ذات حمى بطل محمد

ضيبي وأدفع ظالمي بردايا

فاليوم أخضع للذليل وأتقي

شجنا على غصن بكيت صباحيا

فإذا بكت قمرية في ليلها

ولأجعلن الدمع فيك وشاحيا^(٣)

فلأجعلن الحزن بعدك مؤنسي

وأخذت بالبكاء والنحيب ليلاً ونهارها، وهي لا ترقأ دمعها ولا تهدأ زفرتها.
فاجتمع بعض من شيوخ أهل المدينة، وأقبلوا إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام فقالوا
له: يا أبا الحسن إن فاطمة عليها السلام تبكي الليل والنهار، فلا أحد منا يهنأ بالنوم في
الليل ولا في النهار، وإنا نرى أن تسألها، أن تبكي ليلاً أو نهاراً. فقال عليه السلام: حباً

١- امتثلت والمصدر مناقب ابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٢٠٨.

٢- من قصيدة للأديب الشيخ محمد علي يعقوبي الذخائر: ص ١٢.

٣- المناقب ابن شهر آشوب: ج ١ ص ٢٤٢، ومقتل الحسين عليه السلام الخوارزمي: ج ١ ص ٨٠.

وكرامة. ^(١) فأقبل أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخل على فاطمة عليها السلام وهي لا تفيق من البكاء، ولا ينفع فيها العزاء، فقال لها: يا بنت رسول الله، إن بعضاً من شيوخ أهل المدينة يسألوني أن أسألكِ إمّا أن تبكين أبك ليلاً وإمّا نهاراً.

بكِت حُزناً فقالوا من وقاحتهم
قِرِّي فإن البكا والنوح يؤذينا
حتى خرجت لبيت الحُزن من
غصصٍ وأجمعوا بعدها ألا يوالونا

قالت: يا أبا الحسن ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبني من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله ﷺ. فقال لها إفعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك.

آه آه

إني سئمت العيش في أكنافهم
وبني ابن عمي منزلاً لنياحتي
ونشرت كسري أستغيثُ بخالقي
سأقولُ يا ربي قضي كمداً أبي
من أمة هبت تعكّر مشربي
فهجرتهم وسكنتُ خلف الوادي
وفرشتُ فيه مع الأسى أورادي
والدمعُ في طعنِ المواجه حادي
أنت المرجى هل ترى ما حلّ بي
فصرخت فيهم إنني بنت النبي

والله للباغي عليّ مُعادي ^(٢)

«وحزنت فاطمة عليها السلام حزناً شديداً أثر على صحتها، وكان الصحابة رجالاً ونساءً يعودون فاطمة عليها السلام بين الحين والحين إلا عمرَ وأبا بكر، أتياها عائدين

١- بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ١٧٥-١٧٨، ضمن ح ١٥.

٢- من قصيدة للأديب السيد ضياء جمال الدين.

واستأذنا عليها فأبت أن تأذنَ لهما، ولما ثقلَ عليها المرض وقاربتها الوفاة لم يجداً بدءاً من عيادتها لئلا تموت بضعة المصطفى، ثم إنَّ عمراً أتى علياً عليه السلام فقال له: لقد أتيناها غير هذه المرة مراراً، نريد الإذنَ عليها وهي تأبى أن تأذنَ لنا حتّى ندخلَ عليها فنتراضى فإن رأيتَ أن تستأذنَ لنا عليها فافعل، قال: نعم، فدخلَ عليٌّ على فاطمة عليها السلام فقال: يا بنتَ رسولِ الله قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيتَ وقد تردّداً مراراً كثيرةً ورددتيهما ولم تأذني لهما وقد سألتني أن أستأذنَ لهما عليك، فقالت: والله لا آذنُ لهما ولا أكلمهما كلمةً من رأسي حتى ألقى أبي فأشكوهما إليه بما صنعاه وارتكبناه منّي. فقال علي عليه السلام: فإني ضمننت لهما ذلك.

قالت عليها السلام: إن كنتَ قد ضمننتَ لهما شيئاً فالبيتُ بيئتكَ لا أخالفُ عليك بشيء فإئذن لمن أحببت.

فخرج علي عليه السلام فأذنَ لهما، فلما وقعَ بصرهما على فاطمة عليها السلام سلّما عليها فلم تردّ عليهما وحوّلت وجهها عنهما فتحوّلا واستقبلا وجهها حتّى فعلت مراراً. فقال أبو بكر: يا بنت رسول الله إنّما أتيناك ابتغاء مرضاتك، واجتناب سخطك نسألك أن تغفري لنا وتصفحني عما كان منّا إليك. فأبت ان تكلمهما. فقالا: إنّنا جننا معتذرين مبتغين مرضاتك فاغفري واصفحي عنّا ولا تؤاخذينا بما كان منّا. ^(١)

فالتفتت إلى علي عليه السلام وقالت: إني لا أكلمهما من رأسي كلمة. ^(٢) حتّى أسألهما عن شيء سمعاه من رسول الله صلى الله عليه وآله فإن صدقاني رأيت رأبي.

١- كتاب سليم بن قيس: ص ٢١١-٢١٢ ضمن ح ٥٢.

٢- علل الشرايع: ب ١٤٨ ص ١٨٧.

قالا: اللهم ذلك لها وإنا لا نقول إلا حقاً ولا نشهد إلا صدقاً.

فقالت: أنشدكما الله أتذکران أن رسول الله ﷺ استخرجكما في جوف الليل لشيء كان حدث من أمر علي؟

فقالا: اللهم نعم. فقالت: أنشدكما بالله هل سمعتما النبي ﷺ يقول: فاطمة بضعة مني وأنا منها من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذاها بعد موتي فكان كمن آذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي؟

قالا: اللهم نعم. قالت عليها السلام: الحمد لله.

ثم قالت: اللهم إني أشهدك فاشهدوا يامن حضرنى أنهما قد آذيانى فى حياتى وعند موتى، والله لا أكلمكما من رأسى كلمة حتى ألقى ربى فأشكوكما بما صنعتما بى وارتكبتما منى. فدعا أبو بكر بالويل والثبور وقال: ليت أمى لم تلدني. ثم انتحب باكياً، وقد خرج من عندها فاجتمع الناس إليه فقال لهم: بيت كل رجل معانقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركنموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم أقبيلوني بيعتي، أقبيلوني بيعتي.^(١)

فقال بن الخطاب: عجباً كيف ولوك أمورههم وأنت شيخ قد خرفت تجزع لغضب امرأة وتفرح برضاها وما لمن أغضب امرأة^(٢) وكان قد خرجا من عندها وهي غاضبة عليهما.^(٣)

١- الإمامة والسياسة: ص ١٣-١٤، أعلام النساء كحالة: ج ٤ ص ١٢٣-١٢٤، دلائل الإمامة الطبري: ص ١٣٤.

٢- كتاب سليم بن قيس: ج ١٤ ص ٢١١-٢١٢ ضمن ح ٥٢، علل الشرائع: ج ١ ص ١٨٦-١٨٧ ب ١٤٩ ح ٢.
٣- صحيح البخاري: ج ٥ ص ٢٨٨-٢٥٦، كتاب المغازي، وصحيح مسلم: ج ٣ ص ١٣٨٠-١٧٥٩، كتاب الجهاد والسير وسنن أبي داود: ج ٣ ص ١٤٢-٢٩٦٨، باب صفايا رسول الله ﷺ، ومسنند أحمد: ج ١

قال سويد بن غفلة: لما مرضت فاطمة عليها السلام المرضة التي توفيت فيها اجتمع إليها نساء المهاجرين والأنصار يُعِدُّنَهَا فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا ابنة رسول الله؟

فحمدت الله، وصلت على أبيها، ثم قالت: صبحتُ - والله - عائفةً لديناكن ^(١) قاليةً لرجالكن لفظتهم بعد أن عجمتهم وشننتهم بعد أن سبرتهم ^(٢) فقبحاً لفلول الحد واللعب بعد الحدّ وقرع القناة وصدع القناة ^(٣) وخطل الآراء، وزلل الأهواء ^(٤) ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَالِدُونَ﴾ ^(٥) لا جرمَ لقد قلدتهم ربقتها وحملتهم أوقتها وشننت عليهم عارها ^(٦) فجدعاً وعقرأً وسُحقاً للقوم الظالمين. ويجهم!! أتى زحزوها عن رواسي الرسالة ^(٧) وقواعد النبوة والدلالة ومهبط الروح الأمين والطيبين بأمر الدنيا والدين ^(٨) إلا:

ص ٦ و ٩، ومشكل الآثار الطحاوي: ج ١ ص ٤٨، وسنن البيهقي: ج ٦ ص ٣٠٠-٣٠١، والبداية والنهاية.

١- عائفة: كارهة.

٢- قالية: مبغضة. لفظتهم: رميت بهم عجمتهم: مضغتهم. شننتهم: أبغضتهم سبرتهم: عرفت عمقهم، أي تأملتهم.

٣- فلول الحد: ثلثة حدّ السيف. الحدّ - بكسر الجيم - : ضد الهزل واللعب. قرع الصفاة: ضرب الضخرة الملساء، وصدع القناة: استرخاء الرمح وقيل: الصدع: الشق.

٤- خطل الآراء: فسادها وزلل الأهواء: انحراف الميول والرغبات.

٥- سورة المائدة، الآية: ٨٠.

٦- قلدتهم: جعلت في أعناقهم، ربقتها: حبّلها. حملتهم أوقتها: حملتهم الثقل والمسؤولية. شننت: أرسلت، والعار: السبة والعيب.

٧- الجدع - بفتح الجيم - : قطع الأنف، والعقر - بفتح العين - : المجرح، والسحق: البعد، وكلها في مقام الدعاء عليهم. زحزوها: نحوها، والرواسي: الثوابت.

٨- قواعد البيت: أسسه. مهبط الروح الأمين: محل نزول جبرئيل. الطيبين: الحاذق الفطن العارف.

ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموا من أبي الحسن ^(١) نقموا منه - والله - نكير سيفه قلّة مبالاته بحتفه وشدّة وطأته ونكال وقعته ^(٢) وتنمّره في ذات الله عز وجل والله لو تكافوا عن زمام نبذه رسول الله إليه لاعتلقه ^(٣) ولأسار بهم سيراً سَجْحاً لا يكلم خشاشه ولا يتعتع راكبه ^(٤) ولأوردهم منهلاً نيراً، صافياً رويّاً، ففضاضاً تطفح ضفتاه، ولا يترنق جانباه ولأصدرهم بطاناً ^(٥) ونصح لهم سرّاً وإعلاناً ولم يكن يحلى من الغنى بطائل ولا يحظى من الدنيا بنائل ^(٦) غير ريّ الناهل ^(٧) وشبعة الكافل ^(٨) ولَبَانَ لَهُم الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ^(٩). ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا لَهُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ^(١٠). إلا: هلمّ واستمع. وما عشت أراك الدهر عجباً! وإن

١- نقموا منه: عابوا وكرهوا.

٢- نكير سيفه: لا يعرف سيفه أحداً ولا يفرّق بين الشجاع وغيره. التنمّر: الغضب، والمقصود من ذات الله أي لوجه الله. الحتف: الهلاك.

٣- وطأته: أخذته، ونكال وقعته: إصابة صدمته. تكافوا: صرف بعضهم بعضاً، والزمّام: مقود البعير، أو الخيط الذي يُشدّ في ثقب أنف البعير.

٤- السير السجج: السهل اللين. لا يكلم: لا يجرح، والخشاش - بكسر الخاء - الخيط الذي يدخل في عظم أنف البعير. يتعتع راكبه: يقلق ويتحرك حركة عنيفة.

٥- المنهل: محل ورود الماء، والنمير: الماء العذب السائغ النامي للجسد، والروي: الكثير، والفضفاض: الواسع، تطفح: تمتلئ حتى تفيض، ضفتاه: جانباه، يترنق: يتكدر. بطاناً: عظام البطون من كثرة الشرب.

٦- يحلى: يصيب ويستفيد، والطائل: كثير الفائدة. يحظى: يظفر، والنائل: العطاء.

٧- الناهل: العطشان.

٨- الكافل - هنا - : المحتاج إلى الطعام.

٩- سورة الأعراف، الآية: ٩٦.

١٠- سورة الزمر، الآية: ٥١.

تعجب فعجبٌ قولهم!! ليت شعري إلى أيِّ سِنَادٍ استندوا؟^(١) وعلى أيِّ عمادٍ اعتمدوا؟ وبأيِّ عروة تمسَّكوا؟ وعلى أيِّ ذرِيَّةٍ أقدموا واحتنكوا؟^(٢) لبئس المولى ولبئس العشير. وبئس للظالمين بَدَلًا. استبدلوا - والله - الذُّنَابَا بالقوادم^(٣) والعَجْزُ بالكاهل فرغماً لمعاطس^(٤) قوم يحسبون أنهم يحسنون صنْعاً ألا: إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ويجهم!! أفمن يهدي إلى الحقِّ أحقُّ أن يُتَّبَعَ أم من لا يهدي إلا أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون؟^(٥)

أما: لعمرى! لقد لَقَحْتُ فَنظِرَةً ريشما تُنتج ثم احتبلوا ملء القعب دماً عبيطاً^(٦) وذعافاً مبيداً^(٧) هنالك يخسر المبطلون ويعرف التالون^(٨) غبَّ ما أسَّسه الأولون ثم طيبوا^(٩) عن دنياكم أنفساً واطمئنوا للفتنة جاشاً^(١٠) وأبشروا بسيف صارم وسطوة معتد غاشم وهرج^(١١) شامل واستبداد^(١٢) من الظالمين يدع فيكم

-
- ١- ليت شعري: ليتني علمت، والسناد - بكسر السين - : ما استندت إليه من حائط أو غيره.
 - ٢- احتنكوا: استولوا.
 - ٣- الذناب: ذنب الطائر، القوادم: ريشات في مقدم الجناح.
 - ٤- العجز - بفتح العين وضم الجيم - : المؤخر من كل شيء، والكاهل: ما بين الكتفين. رغماً: كناية عن الذل: والمعاطس: جمع معطس (مكان العطسة) وهو الأنف.
 - ٥- سورة يونس، الآية: ٣٥.
 - ٦- لَقَحْتُ: حملت. فنظرة: فمهلة، ريشما: مقدار ما، وتنتج: تلد. القعب: إناء ضخم، والدم العبيط: الطري.
 - ٧- الذعاف: السم السريع الفناء، والمبيد المهلك.
 - ٨- التالون: التابعون، والغب: العاقبة.
 - ٩- طابت نفسه عن كذا: رضيت به غير كارهة.
 - ١٠- الجاش: القلب.
 - ١١- والغاشم: الظالم. الهرج: الفوضى، والقتل، واختلاط الأمور.
 - ١٢- الاستبداد: التفرد بالشيء من غير منازع.

زهيداً^(١) وجمعكم حصيداً^(٢) فيا حسرةً لكم وأتى بكم^(٣)؟ وقد عميت عليكم^(٤)
أتلزِمكموها وأنتم لها كارهون؟؟

قال سويد بن غفلة: فأعادت النساء قولها على رجالهن. فجاء إليها قوم من
وجوه المهاجرين والأنصار معتذرين، وقالوا: يا سيدة النساء. لو كان أبو الحسن
ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد^(٥) ونُحَكِّمَ العقد لما عدلنا إلى غيره!!!
فقالت: إليكم عني! فلا عذر بعد تعذيركم، ولا أمر بعد تقصيركم^(٦).
وأصبحت ريحانة الرسول فاطمة طريجة الفراش، وقد أخذ منها الهزال كلَّ
مأخذ ولقد رأت أباهما في المنام وهو يقول لها: «هلمِّي إليَّ يا بُنَيَّةَ فإني إليك
مشْتاقٌ».

ثمَّ قال لها: «أنتِ الليلةَ عندي».

انتبهت من غفوتها واستعدت للرحيل إلى الآخرة فتحت عينها واستعادت
نشاطها ولعلها كانت في صحوة الموت، وأقبلت تمشي متكئةً على الجدار نحو
الموضع الذي فيه الماء من بيتها، وشرعت تغسل ثياب أطفالها بيديها
المرتعتين، ثم دعت أطفالها وطفقت تغسل رؤوسهم، ودخل الإمام علي عليه السلام

١- الفيء: الخراج والغنيمة، وزهيداً: قليلاً.

٢- جمعكم: زرعكم.

٣- الحسرة: التلهف على الشيء الفائت. كيف يصنع بكم.

٤- عميت: التبتت، (المصدر) الطبري في دلائل الإمامة.

٥- نبرم العهد: نباع لأبي بكر.

٦- التعذير: هو التقصير ثم الاعتذار، والتقصير: التواني عن الشيء، الخصال: ص ١٧٣، مصادر الخطبة:
معاني الأخبار لابن بابويه، والاحتجاج للطبرسي، والأمالى للشيخ الطوسي، ودلائل الإمامة للطبري،
وبلاغات النساء لأبي الفضل بن أبي طاهر، وكشف الغمّة للأربلي، وشرح نهج البلاغة لابن أبي
الحديد.

البيت وإذا به يرى عزيزته قد غادرت فراش العلة وهي تمارس أعمالها رقب لها قلب الإمام حين نظر إليها وقد عادت إلى أعمالها، سأها لم قمت أجابته يابن العمّ هذا اليوم هو آخر يوم من أيام حياتي، سأها ومن أين لك هذا فأخبرته بالرؤيا ثم قالت عليها السلام لأمير المؤمنين عليه السلام: «يابن العمّ إته قد نُعيت إليّ نفسي وإني لا أرى ما بي إلا أنّي لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي».

قال لها علي عليه السلام: «أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله صلى الله عليه وآله» فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت ثم قالت عليها السلام: «يابن العمّ ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني».

فقال علي عليه السلام: «معاذ الله أنت أعلم بالله، وأبرُّ وأتقى وأكرم وأشدّ خوفاً من الله من أن أوبّخك بمخالفتي وقد عزّ عليّ مفارقتك وفقدك والله لقد جددت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وقد عظمت وفاتك وفقدك فإنا لله وإنا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها هذه مصيبة لا عزاء منها» ثم بكيا ساعة، وأخذ الإمام رأسها وضمها إلى صدره وهي تقول:

وأسبل الدّمع فهو يومُ الفراق	أبكني إن بكيّت يا خير هادي
فقد أصبحا حليف اشتياق	يا قرين البتول أوصيك بالنسل
قتيل العدى بطف العراق ^(١)	أبكني وابك لليتامى ولا تنس

فقال لها:

١- سيدة النساء الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام.

فراقك أعظمُ الأشياءِ عندي وفقدكِ فاطمُ أدهى الشكولِ
سأبكي حسرةً وأنوحُ شجواً على خِلٍ مضى أسنى سبيلِ
ألا يا عينُ جودي وأسعديني فحُزني دائم أبكي خليلي^(١)

ثم قال عليها السلام: «أوصيني بما شئتِ فإنيكِ تجديني وفيأً أمضي كلِّما أمرتني به، وأختار أمركِ على أمري». فقالت عليها السلام: «جزاك اللهُ عنيَّ خيرَ الجزاء، يا بن العمِّ أني اشهد أن لا إله إلا اللهُ وأنَّ محمداً عبدهُ ورسوله، وأنَّ الجنتهَ حقٌّ والنارَ حقٌّ، وأنَّ الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأنَّ اللهَ يبعثُ من في القبورِ يا عليُّ أنا فاطمة بنتُ محمَّد، زوجتي اللهُ منك لأكون لك في الدنيا والآخرة، أنت أولى بي من غيري.^(٢)

ثم قالت عليها السلام: «يا بن العمِّ إذا قضيتُ نجي فاعسلني ولا تكشف عني، فإني طاهرةٌ مطهَّرة، وحتطني بفاضل حنوط أبي عليه السلام، وصلِّ عليَّ، وليصلِّ معك الأَدنى فالأَدنى من أهل بيتي، وادفني ليلاً لا نهاراً، وسراً لا جهاراً، وعفَّ موضع قبري، ولا تشهد جنازتي أحداً ممن ظلمني، فإنيهم عدوِّي وعدوُّ رسول الله وأستودعك اللهُ، وأقرأ على ولديَّ السلام إلى يوم القيامة^(٣) نادته:

يا عمد بيتي يا علي حضرت منييتي
اسمع أوصيك بوصيتي بالحسن وحسين أخيّه
يا علي يا بن عمي ولا تخلي واحد عليّة يصلي

١- أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

٢- البحار: ج ٤٣ ص ٢١٤.

٣- مستدرک الحاكم: ج ٣ ص ١٦٢، والعمدة ابن الطریق: ص ٣٩٠-٣٩١، كشف الغمة الاربلي: ج ١ ص ٤٩٤. والكافي الكليني: ج ١ ص ٤٥٨، ومعاني الأخبار: ص ٣٥٦.

من العدا الكصدوا محلي واذو الهادي وصيه
يا علي: وثالث وصيه شيل نعشي بليله ظلمه
واخفي من أعداي علمه ووحذك ادفني بمسيه

وبعد أن خرج الإمام عليّ والحسن والحسين عليهم السلام من البيت. قامت فاطمة الزهراء عليها السلام إلى فراشها، واضطجعت مستقبلة القبلة.

وقيل: إنها أرسلت بنتيها زينب وأمّ كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لئلاّ تشهدا موت أمهما. تقول أسماء أن فاطمة الزهراء عليها السلام لما حضرتها الوفاة قالت: يا أسماء إن جبرئيل أتى النبيّ لما حضرته الوفاة بكافور من الجنة فقسّمه أثلاثاً، ثلثاً لنفسه، وثلثاً لعلي، وثلثاً لي، فقالت: يا أسماء اتّني ببقية حنوط والذي من موضع كذا، وضعه عند رأسي، فوضعتّه ثم قالت حين توضّأت وضوءها للصلاة: يا أسماء: هاقي طيبي الذي أتطّيب به، وهاقي ثيابي التي أصلي فيها فتوضّأت» ثم تسجّت بثوبها، ثم قالت: «انتظريني هنيئاً وادعيني فإن أجبتك وإلاّ فاعلمي أنّي قدمت على أبي فأرسلني إلى علي». وحين حانت ساعة الاحتضار وانكشف الغطاء نظرت فاطمة عليها السلام نظرة حادة ثم قالت: «السلام على جبرئيل، السلام على رسول الله، اللهمّ مع رسولك، اللهمّ في رضوانك وجوارك ودارك دار السلام، ثم قالت: هذه مواكب أهل السماوات وهذا جبرئيل وهذا رسول الله يقول: يا بنية أقدمي فما أمامك خيرٌ لك»^(١) وفتحت عينيها ثم قالت: «وعليك السلام يا قابض الأرواح عجل بي ولا تعذبني» ثم غمضت عينيها

١- بحار الأنوار: ج ٤٣ ص ٢٠٠ ح ٣٠، عن مصباح الأنوار: عن جعفر بن محمد، عن آباءه عليهم السلام قال: ماتت فاطمة عليها السلام ما بين المغرب والعشاء، وعن عبد الله بن الحسن، عن أبيه عن جده عليه السلام.

ومدّت يديها ورجليها. تقول أسماء فناديتها يا بنت رسول الله فلم تجبني، فناديتها يا بنت من صلى بملائكة السماء مثنى مثنى فلم تجبني فناديتها يا بنت من حمل الزكاة بأطراف الردا فلم تجبني تقول دنوت إليها كشفت الرداء عن وجهها فإذا بها قد فارقت الحياة، ميّته رحم الله من نادى وا سيدتاه.

بأبي التي ماتت وما ماتت مكارمها السنية^(١)

فوقعت عليها تقبلها وهي تقول: يا فاطمة إذا قدمت على أبيك رسول الله فاقريه عني السلام تقول أسماء وبينما انا جالسة دخل عليّ الحسن والحسين فوجدا أمهما نائمة فقالا: يا أسماء ما ينيم أمنا في هذه الساعة؟ قالت: يا ابني رسول الله ليست أمكما نائمة، قد فارقت الدنيا. فألقى الحسن نفسه عليها يقبلها مرة ويقول: «يا أماه كلميني قبل أن تفارق روحي بدني»، وأقبل الحسين يقبل رجلها ويقول: «أنا ابنك الحسين كلميني قبل أن يتصدّع قلبي فأموت».

فقالت لهما أسماء: يا ابني رسول الله، إنطلقا إلى أبيكما عليّ فأخبراه بموت أمكما فخرجا حتى إذا كانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبكاء فابتدر إليهما جمع من الصحابة وسألوهما عن سبب بكائهما فقالا: «قد ماتت أمنا فاطمة عليها السلام».

يقول الراوي: أنا واقف انظر إلى علي وقد انتهى من صلاته وإذا بصوت الحسين قد ماتت أمنا فاطمة يصك مسامعه يقول رأيت عليا قام وإذا به يسقط على وجهه يقول: «بن العزاء يا بنت محمد» ثم رفع عمامته ووضع رأسه على الحائط وهو يقول:^(٢)

١- المجالس السنية السيد الأمين: ج ٥ ص ٦٨.

٢- البحار: ج ٤٣ ص ١٨٦.

نفسى على زفراتها محبوسةً يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خيرَ بعدك في الحياةِ وإنما ابكي مخافة أن تطول حياتي^(١)

وارتفعت أصوات البكاء من بيت علي عليه السلام فارتجت المدينة بالبكاء من الرجال والنساء،^(٢) ودهش الناس كيوم قبض فيه رسول الله صلى الله عليه وآله واجتمعت نساء بني هاشم في دار فاطمة عليها السلام فصرخن وبكين، وأقبل الناس إلى علي عليه السلام وهو جالس والحسن والحسين بين يديه يبكيان فبكا الناس لبكائهم لم تمكث بعد أبيها إلا خمسة وتسعون يوماً وعن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: توفيت ولها ثمانية عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً. واجتمع الناس فجلسوا وهم يضحون، وينتظرون خروج الجنازة ليصلوا عليها وخرج أبو ذر بأمر من علي عليه السلام إلى الناس وقال: انصرفوا فإن ابنة رسول الله قد أحرَّ إخراجها في العشية^(٣) وتفرَّق الناس، وهم يظنون أن الجنازة ستشيع صباح غد وأقبلا من ظلمأها يعزيان علياً عليه السلام ويقولان له: يا أبا الحسن لا تسبقنا بالصلاة على ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله.^(٤)

فلما جن الليل اقبل الإمام عليه السلام يغسلها من وراء الثياب هو وأسماء في تلك الليلة وإذا بيده الكريمة قد عثرت على الضلع المكسور ترك الإمام الغسل وتنحى جانبا وجلس يبكي فقالت أسماء سيدي يا أبا الحسن ما لك تركت الغسل قال عليه السلام يا أسماء لا تلوميني لقد أحسست بضلع من أظلاع ريحانة

١- أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- دلائل الإمامة: ص ١٢٢.

٣- البحار: ج ٤٣ ص ١٩٢.

٤- البحار: ج ٤٣ ص ١٩٩.

الرسول مكسورا.^(١)

يا أمَّ أحمدَ ماذا في الضلوع أرى يا أمَّ أحمدَ ماذا في الضلوع أرى
أما ذاك قلبك من هول عليك جرى أذاك سهمٌ أصابَ الجنحَ فانكسرا
أهكذا تبتلَى بنتُ النبي إذن^(٢) قد ناح في الليل والإصباح ثم سرى

هذا والحسن والحسين وزينب ينادون يا أماه يا فاطمتاه، وقبل أن يضع الزهراء في سريها نادى: يا حسن يا حسين يا زينب يا أمَّ كلثوم هلمّوا وتزوّدوا من أمكم فاطمة فهذا الفراق واللقاء الجتّة، فاقبلوا يقبلون أمهم وهم ينتحبون، ألقى الحسن والحسين بنفسيهما على صدر أمهما: أماه كلمينا بحق جدنا رسول الله. يقول أمير المؤمنين عليه السلام: والعيش الذي عاشه رسول الله لقد أتت وحتت، ورأيتها فتحت باعبيها من الكفن وضمت الحسين إلى صدرها إلى أن نزل ملك من السماء وقال يا علي نحي الحسين عن صدر أمهما. فلقد والله ابكيا ملائكة السماء فنحّاهم أمير المؤمنين عليه السلام عنها^(٣) ثم صلى أمير المؤمنين علي عليه السلام على الجنازة فلما هدأت الأصوات ونامت العيون ومضى شطر من الليل^(٤) تقدّم أمير المؤمنين والعباس والفضل بن العباس ورابع يحملون ذلك الجسد النحيف، وشيعها الحسن والحسين وعقيل وسلمان وأبو ذر والمقداد وبريدة وعمار.^(٥)

١- دلائل الإمامة الطبري: ص ١٣٦، وتاج المواليد الطبرسي: ص ٩٨.

٢- من قصيدة الأديب السيد ضياء جمال الدين.

٣- البحار: ج ٤٣ ص ١٧٩.

٤- المناقب ابن شهر آشوب: ج ٣ ص ٣٦٢، وأمالى المفيد: ج ٧ ص ٢٨١، كما أوصت.

٥- البحار: ج ٤٣ ص ١٨٣.

يا موكب الآلام خذني ملني قسماً مقامي
 خُذني إلى (الزهراء) أسرع هاك يا حادي زمامي
 خُذني أسأئلهَا لماذا شالها جُنحُ الظلام
 خُذني أسأئلُ في جنازتها (إمامي)
 أنت الذي حمل (الفواطم) صُنَّهْنَّ من اللئام
 عجباً (فاطمة) نُظَامُ وأنت أنتَ فتى الزُحام^(١)

ونزل علي عليه السلام إلى القبر، واستلم بضعة رسول الله عليه السلام وأضعها في لحدها وقال: «يا أرضُ أستودعك وديعتي، هذه بنتُ رسول الله. بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله محمد بن عبد الله عليه السلام، سلمتُك أيتها الصديقة إلى من هو أولى بك مني، ورضيتُ لك بما رضي الله تعالى لك» ثم قرأ: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾. ^(٢)

ثم خرج من القبر، وتقدّم المحاضرون وأهلوا التراب على تلك الدرّة النبويّة، وسوّى علي عليه السلام قبرها. فلما نفّض الإمام يده من تراب القبر هاج به الحزن لفقد بضعة الرسول وزوجته الودود التفت إلى أبي ذر قال يا عم خذ الحسن والحسين وأرجعهم إلى الدار ثم التفت إلى سلمان وعمار والمقداد والعباس والفضل وقال لهم لا حاجة لي ببقائكم.

أويلاه

١- من قصيدة لشاعر أهل البيت الأديب السيد ضياء جمال الدين.

٢- سورة طه، الآية: ٥٥.

نفذ صبره وضل علي يگوم ويطيح	عد گبره وگام ينعاہ وبيصيح
بعيني يا زهرة ترة ضاگ الفسيح	من بعدكم تمنيت منيقي
من بعد عينج على الدنيه العفه	وعيشي من بعدج فلا طاب وصفه
وأبد ما أنساچ وانسه المصطفى	ومن بعدكم نار تسعر مهجتي ^(١)

وحوّل وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ ثم قال: يا رسول الله، قد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله! أمّا حزني فسرمد، وأمّا ليلي فمسهد، لا يبرح الحزن من قلبي أو يختار الله دارك التي أنت فيها مقيم، كمدّ مقيح، وهم مهيج، سرعان ما فرق الله بيننا وإلى الله أشكو، فبعين الله تدفن ابنتك سرّاً، ويهتضم حقّها قهراً، ويمنع إرثها جهراً ولم يطل منك العهد، ولم يخلق منك الذكر، فإلى الله يا رسول الله المشتكى، وفيك يا رسول الله أجمل العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته.

آه ياساعة رجوعه	من دقن خير النساء
شالون يتحمّل اللوعه	وشهگة أصحاب الكسا
حسين يتجارن دموعه	وحالته ما تسي
والحسن واگف (اضلوعه)	أنخت من عظم الأسي
گام يتلفّت بعينه	يدور آثار البتول
صور مخنوگة وسجينه	انرسمت بدمعه الهطول
موضع مناچي المصونه	ويّة والدها الرسول

ومحل ما تُصلي الحزينه
 الله يا عظيم الهظايايم
 تلكتنه والكلب هايم
 فتح باعه وصاح: فاطم
 حِضنته والدمع ساجم
 وئت وصاحت بحسره
 ما أريد اُعد مججره
 بيها خيي اعتفر عفره
 ودني يم روضة الزهرة
 سحبت من ايده العقيله
 اتصيح هذا الباب شيله
 عَصروا ابكتره البتوله
 شوف مسماره وذهوله
 وترفع الصرخة وتكول
 يوم طَبَّ المنزلَه
 بتته زينب معولَه
 سافرت يا مدللَه
 ربّة العز والعُلا
 گوم يا ليث الحرب
 بيها آثار الضرب
 وظل يلوج ويضطرب
 وخلي اگضي اعلى الثرب
 ووكفت بعبتة الباب
 گلبي ما يحمل عذاب
 وطاحت وصرخت يا ياب
 ودمها ييه صاير خِضاب^(١)

آه آه

ييمه بگينه من بعدچ يتامه
 ييمه الدهر صوبي بسهامه
 ييمه الليل بعدچ ما انامه
 وأشوف گبال عيني طولچ يلوح

١- قصيدة لأحد خدمة أهل البيت عليهم السلام.

اويلاه

كأني بأمير المؤمنين علي عليه السلام جالس ودموعه تنهمر.

دمعي على حبّ البتول دليلٌ والحزنُ فوقَ ترايبها إكليلٌ
أبكي رحيلك باكراً أم إنني أبكي على قمرٍ دهاهُ أفولٌ
أبكي عليكِ يتيمةً لمحمدٍ ما طالَ يثْمُكِ والبكاءُ طويلٌ
أبكي لقبركِ ضائعاً وكأنته علمٌ برغمِ وضوحه مجهولٌ
ما أدركوا أنّ الرسالةَ فاطمٌ وحمّةَ فاطمٍ مرسلٌ ورسولٌ^(١)

يا صاحب الزمان:

أوتدري لم احرقوا البابَ بالنارِ أرادوا إطفاءَ ذاك النورِ
أوتدري ما صدرُ فاطمٍ ما المسمارِ ما حالُ ضلعها المكسورِ
ما سقوطُ الجنينِ ما حمرةُ العينِ وما بال قرطها المنثور^(٢)

يا سيدي أما أنا فأقول:

على القلبِ ختمُ الهوى للبتولِ أكرمٌ لهذا الهوى خاتمٌ
وما نادمٌ عاشقٌ للريبعِ أعاشقٌ زهرتهِ نادمٌ
نلوذُ بوجهك لوذَ الجريحِ في حزنه فاللظى دائمٌ
نراكمُ إذا جنَّ ليلُ الخطوبِ نسمعُ تهويمَ نجواكم

١- من قصيدة للشاعر الأديب الأستاذ حسين صالح الصخني.

٢- أدب الطف: ج ٨ ص ٢٦، وديوان السيد حيدر الحلبي السيد باقر الهندي (ت ١٣٢٩هـ).

وأحسبُ أنْ لذكرِ الخلودِ حُلْدُ لذكري بذكراكمُ
ولائي انقطاعي هوأي لكمُ وعن وصل غيركم صائم^(١)

رغم الأعداي نورها ما انطفى فاطمة كأنها المصطفى^(٢)

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ﴾^(٣) والحمد لله رب العالمين.

١- من قصيدة الأديب حسين صالح الصخني.

٢- من قصيدة الأديب الخطيب الشيخ عبد الستار الكاظمي.

٣- سورة الشعراء، الآية: ٢٢٧.